

مقدمات

تعريف علم الأخلاق . موضوعه ، تقسيمه
إلى نظري وعملي ، غايته ، مكانته من الفلسفة

جرت العادة على أن يُقَدِّم بين يدي كل علم يطلب تحصيله تعريفه .
وموضوعه . والغرض منه ونسبته إلى غيره من العلوم ليسكون طالبيه على
بصيرة في طلبه . فأنت إذا تصورت العلم أولاً بتعريفه فقد أحطت به احاطة
إجمالية باعتبار أمر شامل له يضبطه ويميزه عما عداه . وإذا عرفت موضوعه
فقد ميزته عن باقي العلوم . وبقائده تدفع عن نفسك عبث الشروع في شيء
لا ترى منه فائده . وإذا ربطت العلم بغيره من العلوم التي تمت إليه بصلة
النسب فإنك تكون قد أنسرت لنفسك طريق الوصول إليه فتمشى فيه
على بينة وبصيرة .

التعريف :

كلمة أخلاق جمع خلق بضمين كعشق وأعناق ، أو يضم فسكون
كصلب وأصلاب . ولا تكسر على غير ذلك ، يعني أنها ليست من الكلمات
التي تكسر على صور مختلفة ككلمة جمل مثلاً فإنها تجمع جمع تكسير على
اجمال ، وجمال ، وجمل ، وجماله ، وجماليات ، وأجامل ، وجمالي ، وجمال .
وردت في القرآن الكريم : « وإنا لك لعلی خلق عظیم » . وفي السنه :
« بعثت لأتم مكارم الأخلاق ، و « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً »

و « ليس شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق » . وجرت على ألسنة العرب
من ذلك قول سالم بن وابصة :

يا أيها المتحلى غير مشيئته إن التخلق يأتي دونه الخلق

وتطلق لفظة على الطبع ، والسجية ، والعادة ، والمروءة ، والدين .

فسرها ابن عباس بالدين في قوله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم »
وورد عن سعيد بن هشام قال : « أتيت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها
فقلت : أخبريني عن خلق رسول الله فقالت : كان خلقه القرآن أما تقرأ :
« وإنك لعلى خلق عظيم » ، ويروى كان خلقه سجية أى طبيعة من
غير تكلف .

وإذا كانت كتب اللغة تطلق الخلق على الطبع وعلى السجية ، فهل هناك
فرق بين المدلولين أم هما من الألفاظ المترادفة ؟

يظهر أن هناك فرقا بينهما . وهو أن الطبيعة تطلق على الخلق الفطرى
فالطبع بالسكون هو « الجيلة التى خلق الإنسان عليها » . والسجية تطلق على
الفطرى وعلى المكتسب إذا أصبح عادة . ولعل قول حسان ابن ثابت بما
يؤيد ذلك :

سجية تلك منهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع
فالسجية قد تكون محدثة وقد تكون غير محدثة كما يظهر فى هذا البيت .
والخلق للصورة الباطنة بمنزلة الخلق للصورة الظاهرة ولكل أوصاف
حسنة وقيحة .

والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان

بأوصاف الصورة الظاهرة ، ولهذا تكرر الأحاديث في مدح حسن الخلق .

والخلق تكلف إظهار ما ليس في الفطرة . يقال : « فلان يتخلق بغير خلقة أى يتكلفه » وفي حديث عمر رضى الله عنه : « من تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله » . . وفي هذا معنى الغش ، وإلا فطوب أن تخلق كل صنف بأخلاقهم . . — أى أن تعامل الناس على قدر عقولهم — يقول الغزالي - في كتابه « الأربعين في أصول الدين » - أثناء كلامه على الأصل الثامن في القيام بحقوق المسلمين وحسن الصحبة معهم وكيفية المعاشرة مع عموم الخلق يقول : « منها أن تخلق كل صنف بأخلاقهم فلا تلتبس من الجاهل والغبي ما تلتبس من العالم الورع » .

ويروى عن داود عليه السلام أنه قال : « إلهي ! كيف لي أن يحبني الناس وأسلم فيما بيني وبينك ؟ » فأوحى الله إليه : « خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا ، وخالق أهل الآخرة بأخلاق الآخرة » .

ويروى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أن قال : « خالص المؤمن ، وخالق الفاجر ، وهذه الكلمة تفسرها كلمة الغزالي المتقدمة .

فالتخلق أول خطوة في طريق اكتساب الأخلاق ، فما على الذين يشعرون بنقص في أخلاقهم إلا أن يتخلقوا بالأخلاق الفاضلة فلا يلبث الأمر - إن أخلصوا - أن يصبح لهم خلقا .

ولسنا هنا بصدد الكلام على الخلق وما يتصل بها فسيفرد ببحث خاص يأتي بعد . إنما نحن بصدد تعريف « علم الأخلاق » وقد عرفنا شيئاً عن

المضاف إليه — الأخلاق — في اللغة ، فلنعرف بعد ذلك شيئاً عن مدلول كلمة « علم » توطئة لتعريف « علم الأخلاق » في اصطلاح الأخلاقيين .

وهذا الاستطراد وإن كان يضايق بعض القراء إلا أنا نأثي به خدمة لطالب الأزهر ، وإذا اضطرنا البحث إلى أن نسوق له تعريفاً لمطلق العلم ، أو لنظرية المعرفة فليس معنى هذا أننا سنطرقها على وجه التفصيل فنشكلم على مسائلها عند القدماء وعلى ما جد منها عند المحدثين كالعلاقة بين الذات والموضوع إلى ما هنالك من قبل ومن بعد أن يوضع هذا البحث في صورة العلم المستقل بل يكفي هنا أن نعرف — كما أشرنا — كلمة عن مدلول مطلق العلم .

للأشياء وجود في الأعيان ، ووجود في الأذهان ، ووجود في اللسان فالوجود في الأعيان هو الوجود الأصلي الحقيقي ، والوجود في الأذهان هو الوجود العلى الصورى . والوجود في اللسان هو الوجود اللفظى الدليلي .

فما هو هذا الوجود في الأذهان ؟

اختلف في مدلوله : أما الحكماء فيقولون : « هو حصول صورة الشيء في العقل » وغيرهم يقول : « هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع » أو هو « إدراك الشيء على ما هو به » - الإدراك هو تمثيل حقيقة الشيء وحده من غير حكم عليه بنفى أو إثبات ويسمى تصوراً ، ومع الحكم بأحدهما ويسمى تصديقا .

ويختار صاحب المواقف من تعريفات مطلق العلم هذا التعريف : « صفة - أى أمر قائم بغيره - توجب لمحلها - وهو موصوفها - تميزاً بين المعانى لا يحتمل النقيض » .

والمعاني خصت بالأمور العقلية كلية كانت أو جزئية إذ المراد بها مايقابل العينية الخارجية التي تدرك باحدى الحواس الخمس فيخرج إذا عن حد العلم إدراك الحواس الظاهرة لأنه يفيد تمييزاً في الأمور العينية .

ومن يرى - كالشيخ الأشعري - أن إدراك الحواس الظاهرة من قبيل العلم يطرح هذا التقيد فيقول : « صفة توجب لمحلها تمييزاً لا يحتمل النقيض »

ويقول شارح المقاصد في مباحث العلم : « والحق أن إطلاق العلم على الإحساس مخالف للعرف واللغة ، فانه اسم لغيره من الإدراكات . ويؤيده أن البهائم ليست من أولى العلم في شيء .

وإذا كان هذا التعريف المختار لا يرى إدراك الحواس الظاهرة من قبيل العلم فإنه أيضاً يخرج الظن^(١) ، والشك^(٢) ، والوهم^(٣) ، والتقليد^(٤) بقوله : « لا يحتمل النقيض » فإن متعلق التمييز الحاصل فيها - أى في الظن والشك ... الخ - يحتمل نقيضه بلا خفاء . ومحصل هذا التعريف أن العلم

(١) الظن هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ، ويستعمل في اليقين والشك . وقيل الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان .

(٢) الشك هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك ، وقيل الشك ما أستوى طرقاه وهو الوقوف بين الشئين لا يميل القلب إلى أحدهما ، فأذا ترجح أحدهما ولم يطرح الآخر فهو ظن فإذا طرحه فهو غالب الظن وهو بمنزلة اليقين .

(٣) والوهم : هو أدراك المعنى الجزئى المتعلق بالمعنى المحسوس .

(٤) والتقليد : هو قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل .

صفة تقوم بوصف هو العالم ، وتتعلق هذه الصفة بتعلق هو الماهية المتصورة في التصور والطرفان في التصديق ، وتوجب تلك الصفة - إيجاباً عادياً كون محليها أى العالم ميزاً بالتعلق تميزاً لا يحتمل ذلك المتعلق نقيض ذلك التميز .

فأنت إذا أعطيتنا صورة لشيء لا يحتمل النقيض ، أو حكمت على شيء حكماً لا يحتمله كذلك فأنت بذلك عليم .

وإذا كان العلم مطلقاً : « هو صفة تقوم بالعالم فتجمله يميز بين المعاني تميزاً لا يحتمل النقيض ، فما هو العلم مقيداً بالإضافة إلى الأخلاق ؟

تشعبت الآراء واختلفت في المدلول الاصطلاحي لهذا العلم ، وقبل أن نجمع بعض التعاريف ونضعها موضع البحث لتنفيذ منها إلى التعريف المرغى نقدم لذلك بمقدمتين اثنتين :

ما هو الحد ؟

الحد هو المقصود بما يحصره ويحيط به إحاطة تمنع أن يدخل فيه ما ليس منه ، أو يخرج منه ما هو منه .

والمقصود الذى نريد حصره بالحد ها هنا ، أو الذى نريد أن نهضرب عليه سورا بحيث يمنع هذا السور من أن يدخل فيه ما ليس منه أو يخرج منه ما هو منه

هذا المقصود هو موضوعات ومباحث علم الأخلاق ، فهو يبحث مثلاً في الباعث والمقصد ، وفي الخير وفي الشر ، والحق ، والواجب ، ويبحث

فى الضمير الإنسانى ، وفى السعادة الإنسانية وفى المثل الأعلى وكيف نحصل عليه . وفى الشروط التى يجب توافرها فى الإرادة الإنسانية وفى الأفعال الإنسانية لتصبح موضوعاً لأحكامنا الأخلاقية عليها إلى آخر ما يبحث فيه علم الأخلاق .

وعلى هذا فالذين يعرفون علم الأخلاق بأنه « علم الإنسان ، أو علم الخير والشر ، أو علم الواجب والواجبات ، كل هؤلاء لم يجدوا المقصود بما يحصره ويحيط به إحاطة تمنع أن يدخل فيه ما ليس منه أو يخرج منه ما هو منه . فمثلاً « علم الإنسان » هذا التعريف يدخل كل العلوم المتعلقة بالإنسان سواء من الناحية الجسمانية أم من الناحية المعنوية فيدخل « علم التشريح » و « علم وظائف الأعضاء » و « علم الكيمياء الحيوية » ويدخل « علم النفس » و « علم المنطق » و « علم الجمال » و « فلسفة التاريخ » و « فلسفة القانون » إلى غير ذلك من العلوم التى تبحث فى الإنسان فهو تعريف غير مانع

وإذا كان هذا التعريف يدخل فى المقصود ما ليس منه ، فإن هذه التعاريف الأخرى المذكورة تخرج من المقصود ما هو منه . وتستطيع أن تنقدها بالرجوع إلى موضوعات ومباحث علم الأخلاق

والتعريف الذى تختاره دائرة المعارف للمعلم « بطرس البستاني » هو :
« علم بالفضائل وكيفية اقتنائها ليتحلى الانسان بها . وبالذائل وكيفية توقيها
ليتخلى عنها »

لكن : هل هذا التعريف حد أو رسم ؟

أذكر أن فضيلة « شيخ الكلية » زارنى فى الدرس مرة ، وكان
موضوعه « تعريف علم الأخلاق » وبعد أن استمع إلى . سأل الطلاب
هذا السؤال .

وتذكرنى هذه الاستطارات بالثقافة الأزهرية القديمة ، أو بطريق
الدرس فى الأزهر القديم ، فقد كان يتجرد عن كثير من « السطحية » إلى
ميدان النشاط العميق فكنت ترى « الشيخ » يعرض للمسألة فيدخل إلى
غورها من مناحيها المختلفة . من ناحية « النحو » و « الصرف » و « البلاغة »
وما إلى ذلك مما يمكن أن يدخل فى نطاقها من بحث . فتعود الطالب هذه
الطريقة نفوذاً إلى لب الأمور .

وبهذه المناسبة أسجل شهادة لأستاذنا الجليل أحمد لطفى السيد فقد
سمعته مرة يقول : « إن العقل الأزهرى إذا مسته العلوم الحديثة كان أقوى
عقل ، واستشهد به سعد زغلول » و « طه حسين »
وما ذلك إلا لتفشيته على « الدقة » فى الفهم ، وتعويده أن يكون
« فقيه النفس » .

ويكفى هنا أن أقول : إن هذا التعريف رسم لا حد ، وليس التعريف
بالحد من مقدمات الشروع .

موضوع كل علم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية كبदन الإنسان لعلم الطب، فانه يبحث فيه عن أحواله من حيث الصحة والمرض، وكالكلمات لعلم النحو، فانه يبحث فيه عن أحوالها من حيث الإعراب والبناء، وكالمعلوم لعلم الكلام من حيث أنه يتعلق به لإثبات العقائد الدينية تعلقاً قريباً أو بعيداً. وبالموضوع تميز العلوم، نعم تميز العلوم أيضاً بالتعريف. لكن الامتياز الحاصل بالموضوع تميز بحسب الذات، والحاصل بالتعريف تميز بحسب المفهوم، والتمييز بحسب الذات راجع زائد في نفسه على التمييز بحسب المفهوم.

« وبعد، فما موضوع علم الأخلاق؟ »

نقدم لذلك بكلمة عن « الأخلاقية » أو بعبارة أخرى عن الحكم الأدبي على الفعل الإنساني بالخير أو بالشر، وذلك يستلزم أن نقول: هناك:

١ - قاض يحكم.

٢ - دستور^١ يحكم به.

٣ - ومحل يقع عليه، أو يتعلق به هذا الحكم فما هو هذا الدستور، أو هذه المبادئ؟

يقول « بارتلي سانتيلير » في كتاب الأخلاق لأرسطوطاليس ترجمة أستاذنا الجليل مربى الجيلين وعميد الفلسفة في الشرق أحمد لطفي السيد يقول: « ومن النادر أن يقع إجماع الآراء على طريقة بسط مذهب، »

« بعينه مهما أجيدت ومهما بلغت من الحق . ولكن من الأفعال »
« ما هو مقرر عليه عند جميع الناس وبين أن هذا الإقرار العام »
« سببه أن هذه الأفعال تابعة لمبادئ مسلمة عند الجميع وتقع »
« الأفعال على مقتضاها من حيث لا يشعر الفاعل لها في أغلب »
« الأحيان . فالبحت عن هذه المبادئ . وترتيبها . واستنباطها . »
« وتبيين كل حقيقتها . وكل أهميتها العملية وبيان الواجبات التي »
« توجهها على الإنسان بجميع النتائج التي تترتب عليها هذا هو »
« موضوع علم الأخلاق . »

فما هي هذه المبادئ العامة المسلمة عند جميع الناس والتي تقع أفعال
الإنسان على مقتضاها من حيث لا يشعر الفاعل لها في أغلب الأحيان .
والتي عليها يدور موضوع علم الأخلاق ؟

أهي السنن الكونية الطبيعية كسنن الجاذبية ، والنور ، والحرارة ؟
كلا : فهذه السنن الطبيعية وإن كانت عامة ثابتة مسلمة عند الناس جميعهم
إلا أنها خارجة عن إرادتنا فليس في وسعك أن تبدل الصيف بالشتاء ،
ولا أن تجعل التفاحة حين تنفصل من الشجرة ترتفع إلى أعلى بدل أن
تسقط إلى أسفل .
إذن فما هي ؟

أهي هذه القوانين التي تفرضها الدولة لمصلحة المواطنين تنظم بها
علاقات الناس المشتركة المتبادلة بينهم في هذه الحياة ؟
كلا : فهذه القوانين وإن تعلقت بإرادتنا بها إلا أنها غير عامة وغير

ثابته وغير مسلمة عند جميع الناس . بل تختلف باختلاف الزمان والمكان .
وهي في بلاد غيرها في الأخرى . وهي اليوم غيرها بالأمس .

إذن فما هي هذه المبادئ العامة المسلمة عند جميع الناس والتي تقع
أفعالنا على مقتضاها من حيث لا يشعر الفاعل لها في أغلب الأحيان . والتي
عليها يدور موضع علم الأخلاق ؟

إنها شريعة الحق والواجب وهي شريعة عامة ثابتة صالحة لكل زمان
ومكان ، فالحق واحد لا يختلف فيه إثنان ، وإن حصل خلاف بين الناس
فإنما هو خلاف في فهم الحق لا في الحق ذاته .

ومعنى كونها عامة أنها موجودة في كل الضمائر ، وإن اختلفت قوة
وضعفها ، ومعنى كونها ثابتة أنها غير متغيرة بل هي صالحة لكل زمان
ومكان . فالإنسان قادر بفطرته على أن يميز بضميره صواب الأمر من
خطئه مباشرة بلا ملاحظة ولا خبرة ولا تعليم ، وعلى هذا تكون قواعد
السلوك ، أو دستور الأخلاق ظاهرة الصدق والصواب ظهوراً مباشراً
ومن العمل عليها تكون الفضيلة .

وشريعة الإسلام تشير إلى هذا . فقد ورد أن رسول الله
صلوات الله عليه قال لو ابصرت بن معبد : دجئت تسأل عن البر ؟ قال : نعم
قال : البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب . والآثم ما حاك
في النفس وتردد في الصبر وإن أفتاك الناس وأفتوك .

إن هذا المبدأ أو هذا القانون ليس من وضعنا بل هو قانون في ضمائرنا
يناجي عقولنا ولكنه ليس إيانا . أنت لا تستطيع أن تنكره ولا أن تلزمه

الضمير وليست لك تستطيع أن تخالف نصائح الحق القوية مادامت لك إرادة حرة
ومن هنا نشأت المسؤولية فأنت بمقتضى هذه الشريعة شريعة الحق
والواجب مسئول أخلاقياً عن أعمالك جميعها من ألفها إلى يائها مسئول
لا أمام القضاء في دور المحاكم بل أمام ضميرك وفي قرارة نفسك .
لكن : متى تكون مسؤولاً ؟

تكون مسؤولاً ما دمت حراً مختاراً .

فهو موضوع علم الأخلاق إذن هو أفعال الإنسان الاختيارية .
خرج بذلك أفعال الحيوانات ، وما يصدر عن النفس الإنسانية من
الأفعال التي ليس للأرادة دخل فيها ولا اختيار . ويصدق ذلك على :

١ - الأفعال اللا إرادية كحركات القلب والرئتين والأوعية الدموية
وأجهزة الإفراز فهذه أعمال آلية لا دخل لإرادتك ولا لتفكيرك فيها فليست
عنها بمسئول .

٢ - والأعمال المنعكسة وهي تلك الأعمال الصادرة عن قوة تحول
الآثار الواردة إلى آثار صادرة من غير أن يكون للبخ دخل في شيء منها
وهي كثيرة : منها رمش العين حين تأثرها فجأة بضوء شديد . ومنها فزع
الإنسان وجفوله عند سماعه صوتاً فجائياً . ومنها سرعة انقباض الأيدي
عند ملامستها جسماً ساخناً إلى ما هنالك من هذه الأعمال .

والنخاع الشوكي والمستطيل كلاهما مركز لتلك الأعمال المنعكسة
الكثيرة التي تصدر عنا في كل لحظة من لحظات اليقظة والنوم ونحن
عنها غافلون .

فلست بمسئول عن هذه الأعمال - إلا إرادية والمنعكسة - كما لا تسأل
عن جمالك أو بشاعتك ، ولا عن ذكائك أو غباوتك ، ولا عن مولد ليس
لك فيه اختيار .

ويلاحظ بالأعمال الإرادية أعمال وإن كانت إرادتك لم تتعلق بها
إلا أنك كنت تستطيع معها سلامة الأسباب . وتسمى « الشبه الإرادية »
وإليك أمثلة توضيحها :-

١ - حفرت حفرة في طريق عام ونسيت أن تميزها بما يدل على
وجود خطر فيها فجاءت سيارة أو جاء إنسان فارتطم في هذه الحفرة فخرج
أو مات فأنت مسئول . لماذا ؟ لأنك كنت تستطيع لها الحيط فترفع عليها
شارة حمراء أو ما يدل على وجود خطر فيها .

٢ - رأيت إنسانا أعمى يقود نفسه سيقع في خطر أمامه فقامت مسرعا
لتنقذه فعمرت بشيء في طريقك فأتلفته فأنت كذلك مسئول .
وعلى ذلك فكل إنسان لا يبذل جهده في شيء يتولاه لا يسمى رجلا
طيباً في نظر الأخلاق .

وهذا ما دعا « كارليل » إلى أن يقول عن نجار كان يشتغل في منزله
« إنه كان يخالف جميع الوصايا العشر في كل دقة من دقائق قدومه ،
لكن هل الحكم الخلق يلحق الأفعال لذاتها أو يلحقها باعتبار الباعث
عليها والمقصود منها ؟

الأفعال في ذاتها ليست لها صفة أدبية ، وإنما ينظر إليها من حيث
الباعث ، أو بعبارة أخرى كما يقول المصطفى صلوات الله عليه : « إنما

الأعمال بالنيات ، فإن كانت النية خيراً فالفعل خير ولو أدى إلى شر ،
وإن كانت النية شراً فالفعل شر ولو أدى إلى خير .

وإذا كان الحكم الأخلاقي يدور مع النية فما حكمه في نية الشر بلا عمل ؟
نية الخير بلا عمل طاعة يثاب عليها بلا خلاف بين العلماء ، وأما نية
الشر بلا عمل ففي حكمها غموض وإشكال لتعارض الأدلة من الكتاب ،
والسنة ، والقياس ، واختلاف الأئمة ، فلنحذر أولاً محل النزاع ثم ننقل
الخلاف مع الأدلة ثم نعين ماهو الحق .

الخواطر التي ترد على القلب ثلاثة أقسام :

١ - قسم يرد بلا اختيار للعبد ولا قبول منه وهذا لا يدخل تحت
التكليف بالاتفاق . فلا يثاب عليه إن كان خيراً لعدم النية والاختيار .
ولا يؤاخذ عليه إن كان شراً لقوله تعالى : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » .

٢ - وقسم هو اعتقاد الكفر أو البدعة ويؤاخذ العبد به بلا خلاف .

٣ - ما يرد على القلب مع اختيار العبد وقبوله ، ولكن لا يعمل به
ولا يظهر أثره على الجوارح أصلاً للمانع ، فإن كان خيراً يثاب عليه لما مر .
وإن كان شراً كقتل مؤمن بلا حق ، أو زنا ، أو شرب خمر ، أو غير
ذلك ، فإن كان المانع الخوف من الله مع القدرة عليه وارتفاع المانع
لا يؤاخذ به أيضاً بلا خلاف بل يكتب له حسنة . وإن كان المانع غير
ذلك أي غير الخوف من الله كالحياء من الناس أو الخوف منهم أو الرياء .
فقال بعضهم : لا يؤاخذ به أيضاً لقوله عز وجل : « لها ما كسبت وعليها

ما اكتسبت » وأقوله صلوات الله عليه : « إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به » .

وقال بعضهم يؤاخذ لقوله تعالى : « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » وقوله : « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً » وقوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم — أن يخلف بنبأ على ظنه — ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم » .

ولقوله صلوات الله عليه « إذا التقا المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار » قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال : « لأنه أراد قتل صاحبه » ، وهذا نص على أنه صار من أهل النار بمجرد الإرادة .

وحمل الغزالي الأحاديث الدالة على العفو على القسم الأول من الخواطر . وأول ما يرد على القلب :

- ١ - الخاطر وهو حديث النفس ، ثم يليه :
- ٢ - ميل الطبع وهذا يتولد من الخاطر الأول . ثم يليه :
- ٣ - حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل فإن الطبع إذا مال لم تنبعث النية والهمة ما لم تندفع الصوارف فإنه قد يمنعه حياء أو خوف ، وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقاداً وهو يتبع الخاطر والميل . ويأتي بعد ذلك :

- ٤ - تصميم العزم وجزم النية فيه وهذا يسمى هما بالفعل ونية وقصداً ، وربما يندم بعد الجزم فيترك العمل ، وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل . فهذه أربعة أحوال للقلب قبل العمل . أما الخاطر فلا يؤاخذ به لأنه

لا يدخل تحت الاختيار ، وكذلك الميل وهيجان الشهوة لأنهما لا يدخلان
أيضاً تحت الاختيار وهما المرادان بقوله عليه السلام : « عني عن أمي -
ما حدثت به أنفسها ، حديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في
النفس - الهاجس الخاطر يقال هجس في صدرى شيء أى حدث ووقع -
ولا يتبعها عزم الفعل ، فأما العزم والهم فلا يسميان حديث نفس .
والحق أن ما يرد على القلب من خواطر الشر إن قبله العبد واستحسنه
ولم ينكره ولم يكرهه وكان قوياً بحيث يحمله على مباشرة الأسباب
والدواعي فهو عزم مصمم مؤخذ عليه (١) .

(١) نبراس العقول الذكية شرح الأربعين حديثاً النبوية تأليف السيد محمد
ابن مصطفى الأفكرمانى طبعه مطبعة التمدن الصناعية بمصر .